
بسمة محمود
مذكرات أربعينية

مذكرات أربعينية

"رواية قصيرة"

بسمة محمود

نوع العمل: رواية قصيرة

سنة الإصدار: ٢٠١٨

غلاف خارجي : بسمة محمود

مراجعة لُغوية وتدقيق : رنا أحمد

اهداء

إلى

الغائب الحاضر

"..................."

ولم أرَ في عُيوبِ الناس شَيئاً

كنَقصِ القادِرِينَ على التّمامِ

المتنبي

المقدمة

تجلس قابعة فوق مقعدها تتكأ بساعديها على تلك المنضدة الدائرية فى زاوية الغرفة ،تتراص الأوراق البيضاء أمامها تنتظر أن تنطلق أخيراً وتخط ما تريد كما أشار عليها طبيبها المعالج فى جلستها اليوم.

وها قد مرت ساعاتها الثقال دون كلمةٍ واحدة حتى عادت من بحر شرودها المتواصل ممسكة بقلمها تخط كلماتها :

_كعادتى كل مساء أجلس فى شرفتى الصغيرة أستمتع بمذاق قهوتى المسائية ...ذلك الطبيب البغيض ينهرنى على احتسائى القهوة لكن من يهتم به وبتعليماته ...

بلى أنا من المهوسات بإحتساء القهوة بعد منتصف الليل

لا أنكر أنى من المتحديات الخفيات للمجتمع ، تحديته يوم انفصلت عن عائلتى بكامل إرادتى ضاربة بقواعدهم عرض الحائط

اخترت الاستقلال والعزلة وقد فعلت .

ينادوننى "نغم"

لكن لا أهتم إن نادتنى تلك الممرضة الحمقاء بسيدة "نغم أولغم"

الأهم أن تحضر الجرائد لى صباحاً وأن يكف ذلك الطبيب البغيض عن جلسات علاجى وثرثرته الغير مجدية .

الأبله أخبرنى أنى مريضة ولابد أن أخضع

لجلسات علاج لأتمكن من العودة لحياتى كما كنت قبل أن يُدخلونى عُنوة لذلك المشفى البغيض .

هو من أحضر لى تلك الأوراق صباحاً وأخبرنى:

" أكتبى ما تشائين نغم ، إن كنتِ ترفضى الحديث معى فاكتبى وأنا سأقرأ ما تكتبين "

أعلمك أيها الأحمق ستقرأ كلماتى فأقولها لك

"تباً لكَ ولمشفاكم "

_كدت أنسى أن أُعرفكم بنفسى ...

أنا تلك السيدة التى تُنشر أخبارها يومياً فى الجريدة القومية ،عندما تحضر لى الحمقاء الجرائد صباحاً أجلس أتفاخر بى وبشهرتى الواسعة كسيدة مناضلة ذاع صيتها وتهتم

الجرائد بأخبارها ورصد حياتها كالمشاهير.

أنهت الصفحة فرفعت الورقة لمستوى نظرها تبتسم مناديه بصوتها الجهورى على تلك الممرضة المناوبة وقد قدمت الأخرى على عجالة لتتوقف الأربعينية عن صراخها المزعج فى منتصف الليل

_لقد حضرت إليك سُهاد ماذا تريدين ؟!!!

تأففت الأربعينية بضيق تطالع الممرضة

"من سُهاد؟"

هل جُننتِ أيتها الحمقاء لتناديني باسم المرأة الشبح

أنا سيدة نغم

ابتسمت الممرضة على مضض تحاول التملص من إزعاج الأربعينية ومزاجها المتقلب كرياح الخماسين الهادرة :

"اعتذر سيدة نغم ؛ بمَ تأمرين؟"

مزقت الأربعينية الورقة بيدها لقطعٍ صغيرة وطالعت الممرضة أمرة إياها :

خذى تلك القطع لطبيبكم الأحمق وأخبريه :

"لقد كتبت نغم لكَ ما تريد أن تعرفه عنها "

وأنهت جملتها بضحكةٍ ساخرة عالية تصدح بجدران غرفتها المستقلة

على مضض تناولت الممرضة قطع الأوراق الممزقة منها وخرجت من الغرفة موصدة الباب

خلفها

تتأفف بضيق فى طريق عودتها لغرفتها تلعن اليوم الذى قدمت به للعمل بمشفى الأمراض العقلية والنفسية فالتعامل مع مرضى المشفى جميعاً أمر

وتلك الأربعينية أمر أخر

....

تناولت الأربعينية ورقة أخرى وعادت لتكتب ثانية :

أخبرتنى جدتى فى صغرى أن المرأة الصالحة من تتشبث بزوجها حتى الممات متغاضية عن أى شئ ينفرها منه ولم أفعل...

فابتسمت ابتسامة نصر باهتة وأكملت :

خلعته لأنهى اشمئزازى من حياةٍ لم أخترها

فابتعدت مئات الأميال عن الجميع تاركة،

الماضى للماضى وها هو الحاضر أخطه فى دفترى

...

كان عريض المنكبين بأنفٍ أفطس لن أكذب

وأخبركم أنه كان حائط بشرى كما قرأت فى

الروايات الحالمة

بل كان رجل مصرى وكفى ...

تزوجته وأنا ابنة السادسة عشر كما العادات

بمجتمعنا الشرقى قبل أكثر من ثلاثين عاماً

أنجبت منه صغيراتى الاثنتين

كانتا دنيتنا والخيط الوحيد الرابط بيننا حتى

اغترب وتركنا وحيدات بين جدران شقتنا الموصدة .....

ظلت الأربعينية تكتب وتمزق وتنادى ساخرة المرضة حتى غلبها النوم أخيراً.

....

في صباح يوم ربيعى مشرق

تجلس والبقية فى حديقة المشفى فى استقبال أقاربهن وعوائلهن ، كل منهن بعالمها الخاص ،

إحداهن تجلس برفقة شاب عشرينى متأفف لا يستمع لنصف حديثها . وأخرى تقبع صامتة تمسك بدمية صغيرتها تقتل الوقت بالحديث معها ، وتلك الستينية تتكأ على عكازها تنتظره ولن يأتى ، وأخريات يثرثرن ساخرات من المارين

والمارات أمامهن .

الوجوه شاحبة....غاب الفرح عنها أو غاب العقل لن تُفرقهن فكلهن ضائعات مغيبات بإرادتهن أو بدون .

تجلس صامتة كعادتها،تطالع الوجوه بريبة نظراتها الباردة ....شعرها الغجرى كغيماتٍ رمادية تختلط بسواد ماضيها

اقتربت على استحياء منها كعادتها الصباحية :

_صباح الخير سيدتى

دون أن تنظر إليها نفثت دخان تبغها الوهمى وبصوتها الهامس المتعالى كعادتها الأربعينية الحسناء كما يلقبونها :

_هل أحضرتِ الجرائد أيتها الحمقاء؟!

ازدردت الفتاة ريقها وابتلعت الإهانة الصباحية المعتادة كعادتها ورسمت الابتسامة على وجهها وهى تناولها الجرائد المعتادة .

الجرائد قديمة صدرت قبل عشرة سنواتٍ وأكثر لكن تلك الأربعينة تُصر أن تقرأها يومياً وكأنها تقرأها لأول مرة .

_هيا اغربى عن وجهى الأن ولا تعودى قبل أن أُناديكى -أتسمعين؟!

أومأت الفتاة رأسها بالإيجاب مردفة :حسناً سأذهب سيدتى لكن دعينى أناولكِ دوائك وبعدها سأغرب كما تأمرين .

تأففت بضيق ورفعت عينيها بغضب ناحية

الفتاة :

_قلت اغربى عن وجهى الأن

ظلت الفتاة بمكانها لم تتحرك قيد أنملة وتحولت ابتسامتها لعبوس قائلة بلهجة صارمة :

_ تناولى دوائك وإلا ناديته

ازدردت الأربعينية ريقها بصعوبة وقد لاح أكبر مخاوفها ومن غيره قد يعكر صفوها ويقلب مزاجها كعاصفة هوجاء تضرب ببستانٍ فتقلبه رأساً على عقب "مَهيب" لا غيره .

_حسناً حسناً سأتناوله لكن لا تخبريه

ابتسمت الفتاة تناولها قرص الدواء الصباحى :

_حسناً سيدتى لا تقلقى لن أخبره طالما تلتزمين

بتناول دوائك .

ابتلعت قرص الدواء على مضض وعادت لتطالع جرائدها العتيقة تبتسم تطالع صورة عائلية نُشرت قبل سنوات فى تلك الجريدة ...

"شابة حسناء بشعرٍ أسود مسترسل تجلس على مقعدٍ تضع إحدى صغيرتيها على ركبتها وزوجٌ بشاربٍ كث يقف بجوارها يحمل طفلة أصغر ،وتحت الصورة كُتب عنوان عريض مخفى بقلم تلوين فلا تستطع قراءة العنوان أو الخبر فقط ترى صورة الأسرة السعيدة مبتسمة تملأوهم الحياة والبهجة .

طالعت الصورة مبتسمة تنادى على إمرأة ما على الأريكة المجاورة لها :

" أترين تلك ابنتى حسناء والصغرى ميساء وتلك أنا فى شبابى "

_ لستِ أنتِ ، تلك الحسناء بالصورة شعرها أسود مسترسل أما أنتِ فعجوز برأس رمادى يشبه كبش ضل من صاحبه

قالتها المرأة الأخرى تلوى شدقها بسخرية أتبعتها بضحكة عالية تزيد من غضب الأربعينية

فتأففت الأربعينية بغضب تعتدل بجلستها مولية المرأة ظهرها :

كيف لى أن أتحدث مع الغوغاء أمثالكن!!!

"نساء حمقاوات "

فلم تصمت الأخرى بل ازدادت سخرية فتأففت الأربعينية مبتعدة حتى وصلت لزاوية بعيدة

نسبياً فى الحديقة

افترشت الأرض فوق العشب الأخضر وعادت تطالع الصورة شاردة فى سنواتٍ قطعت ...

....

فى يوم خريفى ....أسدل الضباب ستائره على المدينة فى سحاباتٍ سوداء تغطى سماء المدينة الصغيرة .

تركض حافية القدمين بقميصٍ قطنى فضفاض قصير يصل لما بعد ركبتيها بلون أبيض شعرها المموج يهيج فى الهواء خلفها ...

تتصبب عرقاً تلهث راكضة هاربة منه .

توقفت تلتقط أنفاسها تنظر خلفها هلعاً فرأته

وقد اقترب كثيراً فأكملت ركضها تحاول الهرب لكن

قدميها لم تسعفاها أن تكمل فتعثرت بشئ ما

فوقعت أرضاً فأدركها ينهال ككل ليلة ما يريد

....

صوتها مخنوق متحشرج يُخرج همهمات

متباعدة تأن هلعاً ....تستنجد وما من

مغيث...تزيح الثقل من فوقها وقوته لا تسعفها

بالمرة أن تنقذ حالها من دوامته ككل مساء

....فاستسلمت كالعادة ترتجف...

على صوت الأذان أفاقت فزعة تطلق صرخة

هلع مدوية ....

صدرها يعلو ويهبط تشهق فى ظلام غرفتها

الدامس

مدت يدها المرتجفة تتلمس موضع هاتفها على المنضدة الصغيرة بجوار فراشها ، أنارت شاشته كاسرة العتمة حولها جزئياً جاحظة عينيها بذعر تحاول طمئنة حالها :

اهدئى سُهاد، إنه مجرد كابوس ،بشع أنتِ بفراشك الأن

اهدئى لم يكن سوى كابوس بشع وقد انتهى ...انتهى .

بتثاقل وجسدٍ يرتجف نهضت تزيح الفراش من فوقها تتحسس الطريق لباب الغرفة هاربة من أسوأ كوابيسها وقد عادت إليها بعدما ظننت أنهت تجاوزتها منذ أعوام ...

جرت أقدامها إلى مطبخها الصغير تروى ظمأها

فقد جف ريقها من تلك الكوابيس المتتالية

وذلك الانتهاك الوهمى لأنوثتها ....

ارتشفت بضع قطرات وأعادت الكوب مكانه

على طاولة المطبخ ،تضغط بإصبعيها على

صدغيها تكافح ألم رأسها المعتاد كلما أفاقت من

كوابيسها

وكأن الكابوس كان واقعاً ...تخدر بأطرافها

وشعور بثقل فى صدرها وكأن ثقلا كان يُطبق

على أنفاسها ...

تعذبنت من الشيطان وعادت لعادتها الفجرية

السيئة ضاربة بتحذير ونصائح الجميع لها

كعادتها لتتخلص من ألم رأسها ما لها غير تلك

العادة التى أتخذتها ملجأ لها

"قهوتها الفجرية"

فلتلك المرأة عادة اعتدتها وحدها وهى مذاق القهوة فى الفجر

ببداية الأمر كانت القهوة مهربها لتسهر مقاومة نومها حتى تهرب منه ومن كوابيسه حتى صارت عادتها الفجرية .

تجلس على كُرسى هَزاز بجوار نافذتها ترتشف من كوب قهوتها تاركة العنان لأوهامٍ عششت بعقلها حتى تملكتها تماماً ...

_أتعتقدين أن تلك القهوة ستُنجيك من عشقى؟

انتفضت على صوته فزعة تلتفت ببطءٍ ناحية

الصوت فلم تجد شئ .

ارتجفت بذعرٍ فوق مقعدها تحاول تجميع أيات طرد الشياطين برأسها دون جدوى فقد عُقد لسانها وكأن عقلها ذهب بعيداً بعيداً ....

فعاد الصوت يحدثها :

_ما بكِ حبيبتى لمَ تهربين منى وكأنى شبح لا حبيبك العاشق "مَهيب" ؟!!!

اهتزت شفتيها تحاول إخراج كلماتها المتلعثمة :

"مَ.....مهيب.....أى مهيب؟!!! من أنتَ؟!!!"

_بلى حبيبتى أنا ....وعلى حين غُرةٍ ظهر ذلك المهيب

بدا لها كرجلٍ ثلاثينى أشيب الفودين بذقنٍ

حليقة ،فارع الطول يرتدى بذلةٍ رسمية أنيقة

أغمضت عينيها وفتحتهما تحاول العودة للواقع قليلاً :

_من أنتَ؟

ابتسم يطالعها وتلك المرة اقترب ناحيتها يسحب مقعداً من جوار الطاولة وضعه بمواجهة مقعدها الهزاز وجلس يطالعها مبتسماً .

_من أنتَ؟ هل ما زلت بكابوسى ؟ أنا بالكابوس مؤكد ؟

بنفس الابتسامة العريضة يطالعها دون كلمة فتحركت من مكانها تتعثر بخطواتها ...تائهة بين دروب الوهم والحقيقة حتى قادتها قدماها لغرفة صغيرتها

أشعلت الضوء تناديهما ففزعت الصغيرتين

_ماذا هناك أمى؟

قالتها صغيرتها ذات العشر أعوام تفرك عينيها بين نومها ويقظتها

ابتلعت سُهاد ريقها مقتربة من فراش الصغيرة

_لا شئ ...لا شئ بُنيتى عودى لنومك

ترتجف تفرك راحتى يدها تحاول طمئنة ذاتها المضطربة

_كابوس ....أنا بكابوس سأفق الأن

جلست على طرف الفراش بذعر وريبة من ذاك الرجل مهيب كما يدعى

أنتِ بكابوسٍ كالعادة سُهاد لا تخافى الباب

أوصدتيه جيداً قبل أن تنامى بأول الليل

_لا تخافى......مجرد كابوس مجرد كابوسٍ بشع ستفقِ منه صباحاً على صوت صغيراتك يوقظوكى كعادتهما .

جلست القرفصاء على طرف الفراش تخبئ وجهها بين كفيها هاربة من الواقع الموهوم .

....

تسلل الضوء أخيراً ...

كانت تستلقى تضم ركبتيها إلى صدرها كطفلٍ على حافة الفراش ....صوت صغيرتيها توقظاها كالعادة

_أمى ...هيا أمى سنتأخر عن حافلة المدرسة .

فتحت سُهاد عينيها تحاول تحسس الواقع

حولها تهمس لذاتها :

_الحمد لله لقد كان كابوس

تحركت من مكانها بعجلة لتجهيز صغيرتيها

لمدرستهما

وبعد أقل من الساعة كانت تتناول وصغيرتيها

إفطارهن وعلى طاولة الإفطار قاطعتها صغيرتها :

_أمى متى جئت لتنامى بغرفتنا ؟!!

ألم تخبرينا مساءً أن رأسك يؤلمك وتناولتى

دوائك المُسكن ودخلت غرفتك لتنامى !!!

توقفت عن ارتشاف قهوتها المُرة وقد تسلل

الرعب حقاً تلك المرة تطالع صغيرتها ترتجف

كلماتها بالكاد تُفهم :

_ماذا؟

أتعنى بأنى نمت بغرفتى أول الليل لا بغرفتكما؟!

أومأت الصغيرتان رأسيهما بالإيجاب

فارتجفت يدها فسقط كوب القهوة يحرق كفها الأخرى

_تباً ...تباً ...لقد احترقت يدى

تأوهت من القهوة الساخنة وهرولت تضع يدها تحت صنبور المياة الباردة تطفأ لهيب حرقها أو بالأحرى لهيب عقلها المذعور ....

_أمى الحافلة وصلت –هل نذهب؟

قالتها إحدى ابنتيها وقد استمعت لزمور حافلة

المدرسة

فهزت سُهاد رأسها بتيه تجيب صغيرتها :

_حسناً حسناً اذهبا الأن اذهبا ...

....

_أُقسم ...لقد كان حقيقة تلك المرة لا خيال .

اقتربت صديقتها تربت فوق كفها :

"سُهاد صديقتى ...عودى لرشدك ،عن أى شبحٍ تتحدثين ؛هل جُننتِ يا امرأة؟!!!

طالعتها برجاءٍ تضرب بكفها فوق جبهتها : أقول لكِ الفتاتين أخبرتنى أنى بِت بغرفتى أول الليل وعندما استيقظتُ كنت بغرفتهما إذن لم يكن كابوس كان حقيقة

ابتعدت صديقتها قليلاً تشعل المذياع على إذاعة القرأن الكريم رافعة الصوت عالياً

_إن كان كما تدعين فالقرأن سيطرده من المنزل لا محالة ...

تأففت سُهاد تحدث ذاتها فحتى أقرب صديقاتها لا يمر الأمر لعقلها ...وكيف يمر وهى بالأساس ترى أنها تعش بكابوس طويل تتأمل أن تفق منه يوماً ما.

_لا تنمِ بغرفتك وحدكِ ثانية نمِ بغرفة صغيراتك حتى يعود الغائب ويجتمع شمل أسرتكما الصغيرة بإذن الله.

_الغائب ...؟

أتعتقدين بعد أن ابتلعته الغُربة

سيعود إلينا يوما ما؟!!!

فى قانون الرجال عزيزتى

"اذهب واتركها ترعى الأبناء "

على تلك الفطرة طُبعنا نحن النساء

نتحمل أولئك الأوغاد الهاربين من المسئولين

تاركين العذاب لنا مع واقعنا وواقع أبنائنا

يكتفى ببضع الألاف التى يرسلها شهرياً يعتقد

أنها الوسيلة الأفضل لتعويضنا عن غربته

أحمق ليته لا يعود ثانية ،لقد مر عامان منذ

أخر مرة جاء بإجازته

عليكِ بالصبر صديقتى .

لوت سُهاد شدقها بغيظٍ :وهل أمتلك غيره

سأذهب مساءً لأهاتفه من مركز الاتصالات بأخر الشارع

لربما رق قلبه واشتاق لى ولبناته

فيعود ليخلصنا من عالم الأوهام .....لربما عاد.

....

١

" الغائب لن يعود"

تسلل الضوء من نافذتها فأرق منامها كالعادة،

التفتت للوسادة الخالية بجوارها تسبه بسرها

يستلقى بمنامة حريرية سوداء يطالعها

_صباح السعادة جميلتى

_صباحك تعيس

أجابته بعبوسٍ تلعنه بسرها فها قد أصبح الوهم يبيت على فراشها كل ليلة ،حقيقة أم مجرد وهم يعشش برأسها أصبحت لا تهتم

فلا أصدقاء صدقتها ولا طبيب اقتنع بكلامها وأجمع الجميع أنها الأعراض التى تذكرها لمرضٍ نفسى يسمى "الجاثوم "

تدعى هذه الحالة بشلل النوم (Sleep paralysis)وهي تحدث عند اقتحام الحواجز بين عالمي اليقظة و النوم، قد تكون بعد النوم أو قبله ولكن بالغالب بعد دخول حالة النوم.تكون فيها حاستي السمع و النظر فعالة بشكل اعتيادي مصحوبة بهلاوس سمعية او بصرية احيانا،أي قد تسمع اصوات غير موجودة

في الحقيقة بشكل وكأنها فعلا موجود.!

وها قد شخص العلم حالتها لهلاوس فلم تجد غير الاستسلام والاعتياد على ذلك مهيب بحياتها الركيدة

وقد فعلت.

اعتدلت بجلستها على طرف فراشها ترفع تلك الخصلات الليلية عالياً فى كومة تنهيها بمشبك شعر تاركة الخصلات الهاربة تنساب على جيدها الطويل

على مضض وبغضبٍ دلفت غرفة صغيراتها تزيح البرادى متأففة :

هيا هيا ستتأخرن عن موعد حافلة المدرسة

فردت الصغيرة ذات العشرة أعوام ذراعيها تتثائب

_أمي دعيني أنام رجاء ، لا أريد الذهاب للمدرسة اليوم

أزاحت سُهاد الفراش عن صغيرتها تزعق بإشارة تحذيرية :

_هيا إلى المغسلة

نهضت الصغيرة تجر قدميها بتكاسل

جلست الفتاتان ميساء ذات الثمانية أعوام وحسناء ذات العشرة أعوام تتناولا شطيرتهما بصمت تام كما اعتادتا

وتجلس هى على رأس الطاولة ترتشف كوب قهوتها الصباحى تطالعهما بأعين نارية محذرة :

_لمَ أرتديتِ الأسود حبيبتى ،ألم أخبركِ أن الأحمر يليق بكِ!!!

أطلقت زفرة ضيق كبيرة تُهدر به

_اصمت مهيب رأسى يؤلمنى للغاية ولا طاقة لى بالحديث معك من الأساس

_ألم أخبرك مراراً وتكراراً ألا تزعجنى بأحاديثك الصباحية تعلمنى أنام متأخرة ولولا هاتين الفتاتين ما نهضت من فراشى بهذا الوقت البتة ولكنها الأمومة ستفقدنى رُشدى أنت وأولئك الحمقاوات

_اعتذر حبيبتى

قالها وهو يطالعها بنفس الابتسامة

التفتت ناحيته معتذرة :

عزيزى لا تعتب على مِزاجى المتقلب كليالى أمشير ، يبدو أنى لم أنم جيداً بل لم أنم من الأساس فتلك الجارة أزعجنى صراخ صغارها طيلة ليلتى فلم أنم جيداً

فابتسم يطالعها غامزاً :

لا عليكِ حبيبتى الأهم أن المساء لى

انتفضت الصغيرة على صوت جرس باب المنزل فسقط كوب الحليب من يدها فهدرت والدتها تسبها :

أيتها البلهاء ....تشبهين الوغد والدكِ تماماً ،

اركضى أبدلى ملابسك قبل أن تصل الحافلة

عليكما اللعنة أفسدتما صباحى

ونهضت عن مقعدها بغضبٍ تهمس لذاتها :

_من ذلك الغليظ ليدق بابى بالسابعة صباحاً

؟!!!

_سيدة سُهاد؟!!

_بلى أنا

_والدة الصغيرتان "حسناء وميساء"

تأففت بضيق ونفاذ صبر : بلى أنا والدتهما ؛ من أنتَ؟

_أنا الضابط محمد من قسم شرطة .....

قطبت جبينها بعجبٍ فلمَ قد يطرق ضابط

شرطة وقوة من رجالة بابها صباحاً

_ماذا تريد؟

طالعها الضابط باستنكار فها قد وجدها كما توقع تماماً (........) ، سيدة سُهاد أتعلمين مكان بنيتك الأن؟!

لوت شدقها بغيظٍ مكتوم وسخرية تطالع ذلك الضابط بتعالٍ : أتطرق بابى صباحاً لتسألنى أين بناتك

فأشارت بيدها دون أن تلتفت

"ها هما يتناولا إفطارهما

فأدخل رأسه نسبياً لداخل الشقة :"أين؟!!!"

فالتفتت هى وما زالت تشير بيدها "ها

هماااااااااا"

وابتلعت باقى جملتها تفرغ فاهها بذعر

الطاولة فارغة تماماً

لا صغيرات ....لا مهيب......لا أحد بالمرة

سوى أطباق فارغة ومقاعد متراصة بمكانها

فانتفضت تهرول ناحية المائدة :

_صغيراتى ....حسناء .....ميساء وهرولت للداخل

تبحث بغرفتهما وبالمغسلة

تنبش عنهما وقد ذابا كقطرة ماء فى يوم صيفى

حار...

قطبت جبينها بغيظٍ غاضب تهرول ناحية مهيب

الساكن بجوار النافذة عاقد ذراعيه أمام صدره

_أين ذهبت بهما ؟!!!

ماذا فعلت بابنتى

لم يجبها بل جاءها صوت الضابط الواقف بالباب

_سيدة سُهاد أتحدثينا؟!!!

هرولت ناحية الباب صافعة الباب لتتمكن من التحقيق مع ذلك مهيب تاركة الضابط والقوة يضربوا كفاً بكف على تلك المرأة

_مهيب .....أين الفتاتين؟

_وما أدرانى حبيبتى !!!

_عليكَ اللعنة ،ليتنى استمعت لنصائحن وذهبت لذلك الشيخ فأحرقك أيها الملعون

_اقترب يلمس على وجنتها فنفضت يده بغضبٍ

تسبه :

_أيها ال......ابتعد عنى ....ابتعد عن حياتى ....

أفقدتنى رُشدى ......عليكَ اللعنة مهيب ...عليكَ

اللعنة

خارت قواها تنظر للطاولة الفارغة تضرب

بكفيها وجنتيها

_بناتى ...أين بناتى ؟؟

الأطباق فارغة ....المقاعد بمكانها ....لا أحد

سواه يقف بجانب النافذة يطالعها بجمود

ضائعة ....ترتجف ......مذعورة ...

الفتاتان.....بناتى ......

أنا .....أنا....ماذا فعلت؟ ....

ترتجف تهمس بذعرٍ جم :

" صغيراتى ...... اقترب يربت على كتفها يرفعها عن الأرض يحاول مواساتها

"لا تغضبى حبيبتى .... بالتأكيد هربن منكِ كعادتهما تلك الشقيات ، لا تقلقى سيكن بخير أنا أعلم

ضغطت على أسنانها تهدر به :

"اذهب الأن مهيب، اذهب "

فطالعها بعتبٍ يهمس : لا أستطيع تركك أنتِ حبيبتى

فعادت لتهدر به تضغط على أسنانها:

أنتَ السبب مهيب أنتَ السبب

ألم تغلق باب الغرفة مساءً والصغيرات ينادين علىّ وأنت تأبى فتح الباب لى –ألم تفعل؟

ابتسم لها دون كلمة فبدأت نوبة غضبها تلوح فى الأفق فبدأت تصرخ تكسر فى أثاث منزلها أو ما تبقى لها من أثاث ....

ارتاب الضابط الواقف خارج شقتها فطرق الباب بقوة يناديها :

"سيدة سُهاد ....سيدة سُهاد -هل أنتِ بخير ؟!!!"

وارتفع صوتها تزعق بذلك مَهيب :

"أتسمع لا تعود"

على صوت تكسير وضجة عالية داخل شقتها مع

صراخها المتواصل

كسر ضابط الشرطة الباب فرأها تفترش الأرضية تجلس تضع يدها فوق أُذنيها تصرخ عالياً

....

....

_اهدئ سيدتى بنتيك بخير لا تقلقى

حاول الضابط يائساً أن يعيدها لرُشدها ولو قليلاً

فلم تهدأ بل زادت حدة صراخها ونحيبها ولم يهدأ عقلها بل هدأ جسدها بضربة على رأسها أوقعتها مغشياً عليها

....

فى مشفى حكومى .....يخيم السكون المكان

الجدران بيضاء باهتة ......أسلاك موصلة

بذراعها ....صوت ضعيف يأن على سرير مجاور

تتحدث مع أحد ما .....بضعفٍ بدأت سُهاد تفتح

عينيها تطالع الوجوه المألوفة منها والغير مألوفة

طبيبة بمئزر أبيض تقف بجانب السرير وعلى

الجانب الأخر صديقتها بصحبة إحدى الجارات

_سُهاد _هل تسمعينى؟

أومأت رأسها بضعفٍ

فأردفت الطبيبة : حمداً لله على سلامتك

بوهنٍ خرج صوتها تسأل صديقتها الواقفة

دامعة بجوار الفراش : أين بناتى .

كفكفت الصديقة دمعاتها : بخير ...بخير عزيزتى لا تقلقى ، لا تقلقى الفتاتان فى بيتى بصحبة والدتى وصغارى .

كانت الإجابة مطمئنة مؤقتاً لتعيدها لنومها ثانية

هاربة بإرادتها أو بدون من واقعٍ تأباه وتخشاه إلى عالم ما بين اليقظة والأحلام .....

....

٢

"مولانا الشيخ"

ذاع صيته فى المنطقة والمناطق المجاورة ...

"مولانا الشيخ"

كما ينادونه ،قررت التجربة لعلها تتخلص من تلك الهلاوس الليلة ومن ذلك "مهيب" العاشق الخرافى

فما كان منها إلا أن تتبع الطريق الخرافى وقد فعلت فذهبت لصديقتها وكاتمة أسرارها :

_هل أنتِ متأكدة ؟!!!

أومأت سُهاد رأسها بالإيجاب عدة مرات فى إشارة يائسة لرغبتها الملحة فى التخلص من أوهامها

فأردفت صديقتها بتوجس

_سُهاد لا مزاح فى الأمر

ذلك المكان كما سمعت خطرٌ للغاية

ولن يُسمح لنا مطلقاً بالذهاب لتلك المنطقة

مطلقاً ....لا زوجي ولا أهل زوجك

قطبت جبينها عند ذكر كلمة أهل زوجك :

_وهل يهتم أولئك الأوغاد بي وببناتي من الأساس

ليحق لهما التدخل بحياتي ،لا تهتمي لا يعنيني

رأيهم بشئ ثم إني قررت ألا نخبر أحد بذهابنا

...هم يتهموني بالجنون صراحة الأن ويخبروا

الوغد أن يأتي ليأخذ بناته مني

عليهم جميعاً اللعنة –تباً .

_سُهاد-أنا لم أكذب على زوجي يوماً !!!

بحزم طالعت صديقتها : حسناً سأذهب وحدي

فتأففت صديقتها عاتبة: وهل لى أن أترككِ وحدك صديقتى إذا كان لابد من الموت فلنمت سوياً .

أبدلتا ملابسهما لأخرى تليق بالمكان فاستبدلتا ملابس المدينة بوشاح طويل فوق الرأس وجلباب أسود وعقدتا العزم كمغيبتين بلهاوتين

و

ذهبتا فى طريقهما للجهل والخرافة.

....

إن سيطرت الخرافات على العقول

فعلى الدنيا السلام والرحمة

بعد أكثر من ساعتين ضائعتان فى المدينة وصلتا

بصعوبة لمقام الشيخ المعالج

خارج المقام يعج المكان بالنسوة الشابات والعجائز تختلفن فى الشكل والهيئة والعمر والمنبت تتفقن فى أمر واحد

" قدرة الشيخ على علاجهن"

لم تكن أولئك النسوة تعانين من مرضى جسدى فجميعهن أو أكثرهن يعتقدن بالمس والعين والسحر وقدرة الشيخ على جلب الحبيب و الزوج

جئن ليفك الشيخ عنهن هذا السحر ويبعد وساوس الشيطان "هكذا يعتقدن".

رجل أربعينى بلحية خفيفة وملابس شبابية لا تمت لما نعرفه عن جلباب الشيوخ بصلة ، يقف

فى منتصف الغرفة الكبيرة يمسك بيده عصا طويلة يلف حولها شريط لاصق باللون الأسود،

فى منتصف الغرفة تماماً تابوت مولانا الولى "كما يدعون" تابوت خشبى مغطى كلياً بكسوة خضراء

يدعى الشيخ الراعى للمقام أن مولاهم الشيخ تهبط روحه الطاهرة فى ذلك التابوت فتتلبسه هو ويتحول الرجل الأربعينى لمجرد ألة تنفذ أوامر مولاه الشيخ فيشفى المرضى بأمر الله ويطرد الجنى العاشق والسحر الأسود

تتجمع النسوة من مختلف القرى والمدن على مختلف أعمارهن وميولهن وعقولهن

يجتمعن بشئ واحد"تصديق الخرافات"

يقف ذلك الأربعينى يحمل عصاه يلف حول جبهته عُصابة خضراء

اقترب من سُهاد الضائعة كلياً وسط شرودها و"مهيب" الذى ظهر أمامها ثانية فحدثته تضغط على أسنانها غضباً : "اليوم سأتخلص منك أيها المشئوم"

أشار بعصاه على جسدها فانتفضت فتابع بنبرة حازمة لصديقتها "ابتعدى عنها " فابتعدت المرأة لزاوية فى الغرفة تتابع بصمت مطبق تفضحها معالم ذعرها ورهبتها من الرجل والمكان .

ألقى بتلك المسبحة الكبيرة عليها أمراً :

" ارتديها حول عنقك الأن"

فهزت رأسها بالنفى فهدر بها :

" أمرك ....ارتديها الأن"

وأتبع بجملته المجلجلة :

"صلوا على رسول الله "

على مضض وضعت المسبحة حول رقبتها ولم تلبث فاقترب الرجل يضع وشاحاً أبيض قطنى فوق رأسها وعصب عُصابة خضراء على جبهتها كالتى يضعها هو

قرب عصاه من رأسه وبدأ يهمس يتلو بعض الجمل ومن بين حديثه لا يعلو صوته إلا بجملة

"صلوا على رسول الله"

فتنتفض سُهاد فزعاً

بدأت تشعر بأطرافها كأنما تُخدر...وبتثائب كبير ....ورأسها أصبح ثقيلاً وكأنما نومت أو كانت بالفعل تشعر بالإرهاق

وشعرت ببرودة تسرى بأناملها فتمددت أرضاً فبدأ صوت الشيخ يعلو وصديقتها بزاوية الغربة تنتحب صامتة مذعورة:

_اخرج من جسدها أيها الكافر اللعين

قالها الرجل الشيخ هادراً وتابع

_أخرج بحق القسم ،هيا أخرج وإلا حرقتك أيها اللعين

،أخرج من جسد المرأة واتركها لحياتها وزوجها

فشعرت وهى بين نومها ويقظتها وكأنما مهيب

يجيب الشيخ ودار بينهما حوار جدل طويل :

_لا لن أتركها سُهاد حبيبتى

_أخرج أيها الكافر بسلام كما دخلت

_ لن تُفرقنى عن حبيبتى أيها الدجال

_أخرج الشيخ من جيبة قداحة أشعلها رافعة رأس سُهاد بين كفيه مقرباً القداحة من أنفها

_ستخرج.....ستخرج وإلا أحرقتك

_أخرج بحق "لا إله إلا الله "

_يبدو أنك عنيد متجبر لكنى لن أتركك بأى حال تسيطر على جسد المرأة المسكين وعقلها

فأطفأ القداحة وأعاد رأس سُهاد المغيبة أرضاً

وابتعد قليلاً يرفع ثوب التابوت الخشبى مخرجاً

من تحته سوطاً أسود

ضرب الأرضية عدة مرات فارتجفت صديقة

سُهاد التى بدأت تفقد رُشدها هى الأخرى

_ستخرج وإلا عذبتك

وضرب بخفة فوق جسد سُهاد فارتجف

جسدها دون يقظة

فأعاد الضربات الخفيفة عدة مرات

ثم أمر مساعدته أن تأتيه بورقة ما أشعلها

ووضعها بأنف سُهاد فاختنقت وبدأت تسعل

بقوة حتى أفاقت من غشيانها تسعل تكاد تختنق

فضرب الشيخ فوق جبهتها فعاد لإغمائها ثانية

جسدها ينتفض ....تتحرك يميناً ويساراً وكأنما

أصابتها نوبة صرعٍ ...و صوت الشيخ يردد

"مدد ......مدد.......مددد "

بتثاقل وأخيراً أفاقت سُهاد

فتحت عينيها ببطء .... جالت الغرفة

بعينيها......سقف الغرفة الكبيرة عبارة عن قبة

كبيرة طُليت باللون الأبيض بنوافذ زجاجية

صغيرة ...فوق رأسها وشاح كبير أخضر اللون

حريرى الملمس وعدة مسابح كبيرة طُوقت حول

رقبتها ، عصبة خضراء حول جبهتها ،يد الشيخ

ما زالت فوق رأسها تهمهم بجمل غريبة على

مسامعها بجوارها صديقتها فزعة تمسك بكفها

_سُهاد –هل أنتِ بخير عزيزتى ؟!!

قالتها الصديقة تمسك بيدها كف سُهاد تتنقل

ببصرها بين صديقتها الممدة أرضاً وبين ذلك الشيخ وما يردده

_كانت إماءة رأسها بالإيجاب أو حتى خروج كلمة واحدة من فمها كسكين تقطع بجسدها

جسدها يؤلمها كلياً .....ساعدتها صديقتها لتنهض

.

_فى زجاجة مياة بلاستيكية صغيرة وضع الرجل الشيخ عدة أوراق شجر وحبوب من "حبة البركة " وزيت المسك الأحمر وأغلقها بإحكام أمراً

"تُشرب ثلاث مراتٍ يومياً ولا تهمليها –أتسمعين ؟

لم تجبه بل أجابته الصديقة تتناول من يده القنينة

"حسناً...حسناً....أيمكننا الذهاب الأن شيخنا "

أشاح ببصره عنهما سبح بمسبحته الصغيرة بيده ....اذهبا ولكن مرا أولا على مساعدتى وأدفعا ثمن العلاج

....

_أقسم إن فكرتى ثانية بالعودة لذلك المجذوب لقتلتك بيدى أتسمعين سُهاد؟!!!

خرج صوتها أخيراً متعب متكاسل ضعيف

_ أريد العودة لمنزلى لا أستطع حتى المشى – نتحدث لاحقاً بأمر العودة أو لا .

....

مرت الأيام ثقال على سُهاد التى قررت أن تزور

عائلتها بالمحافظة البعيدة بعد انقطاع أعوام

بإرادتها معتزلة الجميع فى علاقة شبه مقطوعة

مع أقربائها وعائلتها وعائلة زوجها ...

انتهزت الإجازة الصيفية لمدرسة بنتيها وقررت

السفر لربما تعود كما كانت قبل سنواتٍ

امرأة مفعمة بالحياة والنشاط .

مكثت ما يقارب الشهر هناك ...

استعادت رُشدها نسبياً متعلقة بأمال أنها

تخلصت من شبحها أخيراً وتحررت ....

غير أن الحياة لم تكن عادلة بما يكفى معها

فعاد الغائب وليته لم يعد ...

٣

"عودة الغائب"

فى نهاية إجازتها الصيفية هاتفها الغائب يعلن

عن عودته

لم تكن الدنيا تسعها فرحاً كطفلة صغيرة

أخبروها بعودة أبيها

وهل كان لها الأب الداعم أم مجرد زوج تقليدى

لا يختلف عن والدها الحقيقى كثيراً

أخبرها قبل سنوات " سأغترب لمصلحتنا ...وقد

فعل وأكلته الغربة منها ومن صغيراته ومرت

السنوات لكنه عاد بلى كانت كلمة سأعود قريباً

كضوء فى نهاية كهفها المظلم .....

عادت لمنزلها برفقة بنتيها تجهز.....

أشترت بنقوده التى يرسلها إليهن شهرياً ما استطاعت لها وله

كأنثى مهملة لسنوات دب الأمل بروحها فغدت تجهز ذاتها لاستقبال الغائب تتنعم بأمل معلق منذ سنوات

أبدلت ما تلف من أثاث منزلها مستعينة بمدخراتها والصغيرات حولها يرفرفن كفراشاتٍ يعدن الأيام والساعات فى انتظار الأب

فى مائدة كبيرة ...تشبه الولائم الملكية ...جهزت سُهاد ما لذ وطاب تنتظره فقد حطت طائرته قبل ساعة ومؤكد هو الأن فى طريقه لمنزلهما

أخيراً.....

بفستانٍ أبيض فضفاض من خامة الشيفون ينسدل برقة على جسدها الممشوق بربطة من اللون الأسود عند الخصر أبرزت كهيفاء القوام كما كانت دوماً ....واستعانت بمساحيق التجميل التى هجرتها لسنواتٍ وسنوات تضفى على حمرة خجلها الطبيعية ألواناً من الصناعية تزيد طلتها بهية ....

تاركة العنان لشعرها الغجرى ينسدل خلف ظهرها مع خصلاتٍ حائرة على جبهتها تتغزل بكحل عينيها الشبيه بعينى غزال برى شارد من قطيعه ....

طرقاتٍ خفيفة بالباب كادت توقف قلبها

المشتاق ،

ركضت ميساء تفتح هاتفة "بابا...لقد عاد بابا"

بضمة أبوية مشتاقة لصغيراته ضم الغائب

بنتيه مغمض العينين يشتمهما

_كالمسك .....حبيباتى كالمسك ، بضع خطواتٍ

باتجاهه مع خجل زوجة منسية لسنوات

_حمداً لله على سلامتك

رفع عينيه الحادة إليها وسرعان ما هربت عينيه

منها .....أكان يتهرب من شوقه أم خجله؟!!!!

فكرت لثوانٍ معدودة إلا أنها حسمت صراع

أنوثتها واقتربت منه فاعتدل بوقفته هارباً

بعينيه ناحية بنتيه ......

_كيف حالك سُهاد؟!!!

_مشتاقة

ابتلع ريقه يترنح قليلاً للخلف مبعداً عنها وقد باغتته بضمة قوية فأبعدها

بلى أبعدها .....أبعد شوق زوجة انتظرته لسنوات

تسمرت مكانها تنتظر تتعلل له"مؤكد خجل من الفتاتين "

إلا أن خجله لم يكن من صغيرتين بل من ثالثة كانت تقف بالباب لم يرنها بعد......

_ادخلى عزيزتى

خطواتٍ صغيرة خطتها تلك الأنثى لداخل شقة

سُهاد كانت كفيلة بهدم ما بنته فى أشهرها القليلة الماضية

العيةون تراقب تنتظر..تنتظر التعريف....تنتظر التعليل.....تنتظر وانتظرت

_زوجتى ....

فقط كلمة زوجتى وانتهى

لم تستمع لأى من كلماته بعد كلمة زوجتى وهو يشير على تلك المرأة

غامت ....غامت بعيداً بعيداً

لبحرها ....أبحرت تسارع الطوفان ،طوفان تيهها وغضبها

_أى زوجة

فقط تلك الجملة القصيرة انتصرت وخرجت من بين شفتيها

_أتعتقدين أن سنوات غربة كنت سأقضيها أتغزل بجدران سكنى؟!!!!!

عذر أقبح من ذنب

يتعلل بالرجولة ...تباً.

_وأنا؟!!!

_أنتِ ماذا ؟ لم أقصر البتة معكِ ألم أرسل لكِ شهرياً ما يكفى حاجتك ؟!!!

تدريجياً انفك انعقاد حاجبيها من عجب وصدمة لسخرية فاضحة .....

_لا لم تُقصر

أشاح بوجهها عنها ...أعلم أنى مخطئ لأنى لم أصارحكِ من البداية لكنى لم أجد الوقت المناسب و......فقاطعته أنتَ لم تقصر

وهو لم يُقصر

قطب جبينه يستمع بإنصاتٍ غاضب لهذيان روحها

_ أخبرنى ....لقد أخبرنى أنك مجرد وغد

_لقد قال لن يُحبك رجلٌ غيرى

_لقد قال وليته لم يقل

أمسك برسغها يهزها بقوة " عمن تتحدثين؟!!!"

رفعت عينيها الزائغتين ....الحمراوتين إليه

_ ليته يعود

زادت ضغط قبضته عليه يهزها بقوة

_كمن تتحدثين سُهاد

_ليته يعود

فقط تلك الجملة القصيرة تكررها وقد غامت بعيداً عن الجميع حتى تلك الصفعات المتتالية لم توقف هزيانها فقط كلمة

"ليته يعود"

....

وسط دمائها تقع مغشياً عليها ....ثوبها الأبيض تدنس بقطرات دمها النازف......كدماتٍ زرقاء أغدت وجهها الجميل لشبحٍ مخيف مع تلك الهلات السوداء لكحلها حول عينيها

فتحت سُهاد عينيها بوهنٍ فرأته يفترش الأرض بجواره حزين كظيم الوجه ...

_ألم أخبركِ

"لا رجل سيعشقك كعشقى،

لا رجل سيقدرك كتقديرى لكِ،

أنا وحدى من يرفعك كلما وقعتِ

ماذا فعلتِ أنتِ ؟!!!

نهضت بصعوبة عن أرضية منزلها تجول المكان بعينيها تحاول تذكر ما حدث

الأطباق مهشمة أرضاً...الطعام يلوث الأرضية

فشهقت "بناتى"

لقد عاد الغائب ليسلبها أخر ذرة عقلٍ تبقت منها

لأجلهما كانت تصبر...لأجلهما كانت تقاوم

هرعت إلى الشارع بملابسها الملوثة وهيئتها

الشبيه بالأشباح ...تبحث ....وتبحث ...قادتها قدميها لمنزل عائلته

بشبح أنثى دخلت عليهم فرأته أمامها

سباب متلاحق وتعدى أخر لم يقفاها أن تصرخ مطالبة ببناتها

وكأنها القشة التى قطمت ظهر البعير

بيمين ثلاثى أنهى أمره ...وبمحضرٍ رسمى وشهادة

عدم أهلية أخذ الغائب حقه حضانة بنتيه منها

وتركها وحدها بشقتهما لا تحارب وهمها فقط

بل تحارب قسوته هو أيضاً....

٤

"القطة تأكل صِغارها "

_سيسافر بهما الأسبوع القادم .

انتفضت مكانها نتنحب تطالع صديقتها برجاءٍ

أن تكن الأخرى تمزح :

_ماذا؟؟!!

أسيذهب ببناتى للغربة حقاً ؟!!!

لم تجد الصديقة ما تواسى به صديقتها

فانسابت دمعاتها وأطرقت صامتة

_الوغد..... اتهمنى بالجنون وأخذ حضانة الطفلتين

أقسم إن فعلها لقتلته بيدى

_إهدئ سُهاد لا جدوى من تهديداتك تلك

كفته الراجحة صديقتى

جحظت عينيها بغضبٍ وتوعد

" لا عاش من حرم أماً من صغارها"

_إهدئى سُهاد لقد ذهب زوجى إليه مراراً ليقنعه بإعادة الطفلتين إليكِ أو حتى يأتى بهما مجرد زيارة فتعلل أنكِ فاقدة الأهلية .لا تتهورى فتثبتى صحة إتهامه عليكِ . يكفى ما شهد به أهله

وأقربائك أنك بالفعل أصبحتِ غريبة الأطوار

إهدئى الأن لربما عاد زوجى من عنده بالبنتين،

تلك المرة ولو فى زيارة لكِ .

القطة إن خافت على صِغارها أكلتهم

قصة خرافية تداولتها الأساطير قديماً وحديثاً

لكن بظلمهم قد تتحول الأسطورة لحقيقة

....

_أمى

قالتها الصغيرة تركض ناحية والدتها سُهاد

ضمت ابنتيها بقوة تشبع روحها الهائمة من جزعٍ

أمومى وعاطفة قادتها إلى الجنون

_بنتاى الحبيبتان

_لنذهب سريعاً قبل أن يجدنا الوغد والدكما

طأطأت إحداهما رأسها دامعة :

" أبى أخبرنا ألا نذهب معكِ وإن ذهبنا عاقبنا "

_لا تقلقى عزيزتى سنذهب لمكانٍ بعيد لن يؤرقنا فيه إنسٌ ولا جان

_أين سنذهب أمى؟!!!

_ستعرفا بعد قليل حبيباتى

فى غرفةٍ مجاورة صغيرة لغرفة مولاها الشيخ حيث تسكن سُهاد منذ عدة أشهر بعد أن طردها طليقها من الشقة بعد شجارات طويلة

افتعلتها بقلبٍ أمٍ يشتاق لحضن طفلتيها

فتحت سُهاد الباب الخشبى المهترئ تشير لبنتيها :

هيا هيا حبيباتى هيا

انتفضت إحداهما تتحشرج الكلمات بحلقها

على وشك البكاء :

_أمى سيجدنا أبى وسيعاقبنا رجاءً أعيدينا

لم يكن ذعر الصغيرتين من والدهما بقدر

ذعرهما من والدتهما الواقفة أمامها الأن وقد

غدت إمرأة أخرى بالكاد تعرفتا عليها عند رؤيتها

قبل قليل أسفل منزل عائلة والدهما

كإمرأة مسلوبة العقل ترتدى جلباب فضفاض

أبيض وفوق رأسها عمامة خضراء وعدة مسابح

تطوق عنقها .

_أتريا حبيباتى أنا أصبحت فى حماية مولانا الشيخ هو من سيحمينا من أبيكما الوغد

_مددده مولاى الشيخ مدددده

أجهشت البنتان بالبكاء تتوسلا والدتهما أن تعيدهما لأبيها لكن دون جدوى

أدخلتهما عُنوة للغرفة الصغيرة موصدة الباب خلفها

_أنا سأحميكما منه، مولانا الشيخ سيحمينا جميعاً تحت قبته الخضراء تلك.

_نحن لا نريدك نريد أبى

قطبت جبينها تجحظ عينيها الواسعتين

تطالعهما بغضب لا تلاحظ أن البنت الصغرى

بللت تحتها ذعراً من كلماتها العجاف ونظراتها

الجاحظة الغاضبة :

_أنتما بناتى أنا

من حقى أنا

لن أعيدكما له

لم تلتفت لأى من بكاء الصغيرتين أو توسلاتهما

بل أطرقت رأسها بين كفيها تصم أذنيها عن

صِراخهما ونحيبهما غائبة فى عالمها الرمادى إلا

من صوته يهمس لها :

_ألم أخبركِ ألا أحد يحبك ويريدك سواى سُهاد-

حتى ابنتيك لا تريداكى تريدا أبوهما الوغد .

من تزوج أخرى بعد أن هجركِ لسنواتِ يأكلك الشوق إلى الدفء ..إلى الزوج....إلى السند....إلى الحب

أرأيتِ ؟!!

لا أحد لكِ سوى سُهاد

_اغرب عن وجهى مهيب ،اغرب

_وماذا إن لم أفعل؟

أتنادين دجالك يحرقنى كما يدعى!!!

طالعته بتوعد فلم ينتهى بل زاد

_هيا ناديه

زمجرت تضغط على أسنانها تلعنه فيزيد :

_سأقتلك مَهيب

بابتسامةٍ ساخرة : هيا أنتظرك حبيبتى

تعى واقتلى حبيبك مَهيب

_عليكَ اللعنة

نهضت بغضبها وشياطين رأسها تسبقها تتناول

تلك السكين الموضوعة على منضدة خشبية

مهترئة فى ركن بالغرفة

أمسكت بالسكين تُشيرها ناحيته متوعدة :

_أُغرب وإلا قتلتك مَهيب

_اقتلينى هيا" ، وشق قميصه يكشف صدره

يعاند جنونها :

"هيا اقتلينى وأغرقي قلبك ِ بدمى حبيبتى سُهاد

"

اندفعت بجنونٍ ناحيته تنهال عليه بطعنات سكينها الغادر.....

تطعن وتطعن وتطعن ....حتى أودته بدمائه صريعاً

الدماء تنساب من سكينها ، يديها حمراوتين،

ألقت السكينة من يدها تنتفض فرأت ما لم يخطر على عقلها الموهوم

مَهيب بزاوية الغرفة تجلجل ضحكاته جدران الغرفة لقد طعنتهما ......ولم تشعر

"صغيرتيها غرقتان بدمهما أرضاً"

لقد أكلت القطة صِغارها

أفاقت الأربعينية سُهاد من شرودها الحزين الناحب على صوت الممرضة تناديها :

_سيدة نغم .....نغم هل أنتِ بخير؟

_رفعت الأربعينية سُهاد عينيها الدامعة للمرضة دون كلمة

فجثت الممرضة على ركبتيها تربت على كتف سُهاد

_هل أنتِ بخير ؟!!

طالعتها سُهاد بتوسل ورجاءً

أخبريني أني لم أقتلهما ،أخبريني أن فتياتي بخير!!!!

ربتت الممرضة على كتف سُهاد قائلة بحزمٍ لا يعرف رحمةً :

_حان موعد الغداء عليكِ الذهاب وإلا ناديته لكِ

انتفضت الأربعينية سُهاد من مكانها بذعر تنهض عن الأرضية تتوسلها

" لا لا رجاءً لا تناديه ، وهرولت أمامها فى طريقها لحجرة طعام نزلاء المشفى"

تبتلع اللقيمات كعلقمٍ مر تتجرعه منسابة معها ذكرياتها المؤلمة ...ذكريات بشعة لم تعد تذكر منها سوى أشباح ماضٍ يلاحقها بسواده المخيف

ومهيب يجلس على المقعد المقابل لها يطالعها مبتسماً كعادته .

تمت

١٩-٤-٢٠١٨

بسمة محمود أحمد